

## حوارٌ حول الصدق

## شخصيات المحاوره

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه

حسام: شاعرٌ مبدعٌ يملك ثقافة موسوعية، محبٌ

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي سيدة ثرية جميلة مثقفة

شمس: صوفية على طريقة اليوغا

الياس: عالم فيزياء متنسك

إيلينا: طبيبة أمراض جنسية

صونيا: شوق هذا المنتدى الى جمع شمل عشاق المعرفة وأصحاب الحوار والجدل،  
لا يعادله شوق الصحاري الى ماء السماء وشوق الفراش الى الربيع

نحن هنا نقف جميعاً بخشوع تحت مظلة طلب المعرفة والسعي المخلص لتذوق  
حلاوتها فهي كما يقول سليمان دائماً الشيء الذي يطلب لذاته ولا يطلب لغيره

الياس: نحن تعودنا على المعارف التي تأتي بشكل أوامر ونواه، بشكل حرام  
وحلال، ولم نتعود على المعارف التي تتولد من قدح العقول لبعضها بالحوار  
والنقاش والتفاعل والجدل

حسام: نحن تعودنا على الجدل الهابط من فوق، من رأس الهرم الى تحت الى  
ال جماهير في الشارع، يقرر رأس الهرم منفرداً ما هي الحقيقة ثم يسقطها على  
الجميع بالتدرج حتى تصل الى الشارع، وعندها تصبح شعارات مقدسة تلوكها  
الألسن بمناسبة وبدون مناسبة، في النهار والليل في اليقظة والنام

سليمان: رأس الهرم في بلادنا المشرقية لا يهتم كثيراً بالحقيقة، وليست المعرفة التي  
تطلب لذاتها هاجساً من هواجسه، ما يهيمه في الواقع هو الدعاية التي تدغدغ الغرائز  
ومكبوتات اللاوعي في الجماهير، إنه يحرض على إثارة غريزة الخوف عند الناس  
لكي يدرّبهم على الكذب والتملق والإزدواجية في الشخصية، ثم يعود ليلوح لهم  
بإشباع بعض رغباتهم التي عادة ما تقوم على العدوانية تجاه الآخرين. يصور  
للعمال والفلاحين والشرائح الفقيرة أن خلاصهم في تحطيم طبقة التجار ورجال  
المال والأعمال، ويصور لرجال المال والأعمال أن خلاصهم هو في نظام أمني  
متشدد يمسك بطبقات العمال والفلاحين بلجام من فولاذ، ثم يصور للجميع أن العلة  
هي في رجال الدين وما ينشرونه من قيم أخلاقية تتناقض مع مبادئ التطور  
والإرتقاء في الوقت الذي يحرض فيه رجال الدين للإبتعاد عن جوهر دياناتهم في  
المحبة والرحمة والعدالة والعفة للتمسك بالفرائض والشعائر التي يناقض بعضها  
هنا البعض الآخر هناك

إيلينا: أنا لا أشك لحظة واحدة أن الإنسان الشرقي عدواني بطبعه. إذا وقع في  
مصيبة فهو يحاول أن يعمّم مصيبته على كل الناس ليتساوى معهم في الألم

والعذاب. وإذا أصابته نعمة يحاول أن يتفرد بها لنفسه، بل يحاول أن يستثمرها في مزيد من إذلال الناس والتعدي عليهم جسدياً ونفسياً. سأوضح كلامي بالأمثلة

أنا كطبيبة مختصة بالأمراض الجنسية تأتيني امرأة رحمها مهتريء من الإلتهابات أسألها، بعد أن أؤكد لها أن الطبيب كالكاهن مؤتمنٌ على أسرار مرضاه، ماذا فعلت وأي سلوك سلكت فتجيبني أنها لا تعرف رجلاً إلا زوجها. وأن زوجها الذي يعمل في أفريقيا أتى منذ شهرين وهما يعيشان الحياة الزوجية الطبيعية. وهنا أهز رأسي بحزن... كيف يجيز الرجل الذي مارس الجنس مع العاهرات ومشردات الشوارع الموبوءات أن يقارب زوجته أم أولاده ويهديها أوساخه وجراثيمه وفايروساته دون شفقة أو رحمة؟ أليس هذا عدوانية سافرة؟ بل هو نزعة إنتقام مكبوتة في اللاوعي

شمس: كان الإنسان في الماضي القريب إذا ارتكب خطيئة يخجل من نفسه ويخجل من ربّه ويخجل من المجتمع، يحاول جاهداً أن يخفي خطيئته ويسترها عن أعين الناس. اليوم أصبح الناس يتباهون بأخطائهم ويتفاخرون برذائلهم، فسارق المال العام والخاص أصبح ذكياً وصاحب فتوة، ومن يمارس الإباحة الجنسية أصبح يتباهى بكمية الناس الذين ضاجعهم، وآخرون يتباهون أنهم يتعاطون المخدرات ولا يذهبون الى المصحات كما يذهب غيرهم، وسماسرة الأرض والعرض أخذوا يتصدرون المجالس وبأيديهم مفاتيح الحلّ والربط

صونيا: أنا شخصياً أتصور أن الإنسان السوي يجب ألا يكون إجتماعياً بطبعه يعتبر مصلحته الشخصية جزءاً من سعادة كل الناس الذين يتفاعل معهم، كيف يستطيع الإنسان الفرد أن يشعر بالأمان والطمأنينة والإستقرار إذا كانت علاقته بالآخرين ليست مبنية على الثقة وحسن النية والإعتقاد العميق بأن كل الذين حوله لا يكونون له إلا المحبة والخير

حسام: دائماً أقول لكم أن الإنسان الذي لا يملك ثقافة جمالية هو إنسان بالشكل وليس بالمضمون، ودائماً أقول لكم أن الجمال هو التناسق والتناغم والشفافية، هو الإنعتاق من قفص اللذة للتخليق في أجواء السعادة، هو إنطفاء شهوة تملك الجزئيات المحسوسة للوصول الى مرحلة تملك الكليات المجردة. الجمال هو الإحساس أنك قد

غدوت نبضةً في قلب الله، وغدا الله النور الذي يضيء بين أجنحتك فيتمظهر كلمات على الشفتين وأعمالاً من خلال الجوارح. لا يمكن للإنسان أن يكون اجتماعياً متحرراً من نزعتة العدوانية إذا كان جاهلاً كثيفاً يخلط بين الإحساس الجمالي والإحساس الشهواني.

إيلينا: ولكني قرأت الكثير من قصائدك يا حسام فوجدت تعلقك بالجزئيات المحسوسة يفوق توقعك الى الكليات المجردة. إنك لا تبرح تصور الثدي الناهد وهو يتمرد على أزرار القميص حيناً ويناطح حريره أحياناً ويقذف بالحمم من فوهته الملتهبة مرة، وينفجر شظايا تحرق أينما تحل مرات. وهل نسيت أنك في قصيدتك الخمر في كؤوس العنبر كيف صورت الشفة السفلى وهي ترتعش من شبق اللذة وقد نضجت حوتها فمال لونها الى السواد، وهي تنادي وتستغيث صارخة يا أشباه الرجال ولا رجال هل ماتت فحولتكم حتى غدوتم تنظرون ولا تبصرون وتسمعون ولا تستوعبون فالخمرة تحتاج الى خمّار والخمار يحتاج الى ندمان والندمان الى شعراء يجسدون لذائذهم بالكلمات النابضة والأحان المرتعشة

شمس: جادلته مرة في هذا الموضوع فدافع عن نفسه بأقصى درجات المراوغة والدهاء قائلاً أن صعود درجات سلم جمال المحسوسات درجة إثر درجة شيء لا بدّ منه للوصول الى جمال الكليات المجردة. ونسب هذا الرأي الى أفلاطون المثالي الأول في تاريخ البشرية، أنا شخصياً وبعد عشرين سنة من الرياضة الجسدية والروحية، وبعد مجاهدة طويلة مع النفس لينتصر النور فيها على الظلام والعدل على الظلم، لا أستطيع أن أدعي أنني لامست جمال الكليات المجردة إلا بشكل لحظات تنخطف فيها نفسي الروحانية عن جسدي المحسوس لتعانق الله عناق العاشق للمعشوق فتطلع على ما لا يمكن وصفه من جمال الكليات ثم سرعان ما تعود الى ترابية الجسد لتعانق التراب من جديد

سليمان: ليس عجيباً أن يحاول كل عنصر الإنجذاب الى أصله الذي ظهر منه، فالجسد هو نتاج عناصر الطبيعة فإذا ما انجذبت جوارحه الى التراب بشوق ولهفة فهذا ليس بالأمر المستهجن وكذلك النفس العاقلة التي ظهرت من نور الله الشعشعاني فإذا ما انجذبت الى أصلها النوراني فهذا هو الشيء الطبيعي. وهنا ندخل

في عملية وحدة وصراع الأضداد. فالإنسان وحدة غير قابلة للتجزئة وفي قلب هذه الوحدة ضدان يتصارعان حيث كل واحد منهما يريد أن يجذب الى أصله ويجذب العنصر الآخر معه. فالجسد بنفسه الحيوانية يريد أن يجذب النفس العاقلة اليه ويمرغها بترابية شهواته ورغباته، والنفس العاقلة بأصلها الإلهي تريد أن تجذب الجسد اليها وتضيء عليه وتشغفه بأنوارها اللطيفة، والإنسان العادي المسكين مثلنا يعيش هذه التراجيديا من التمزق بين شعشعانية النور ولهيب النار بين لطافة الجمال وكثافة الشهوات بين طمأنينة يقين العقل وإضطراب الشكوك والظنون والرغبات

صونيا: وهل سنبقى هكذا عيوننا تحرق بالشمس وأرجلنا تغوص في الوحول؟

شمس: الحلّ الوحيد برأبي هو في الوصول الى النرفانا حيث تنطفئ في قلوبنا وأجسادنا كل الشهوات والرغبات والتوق الى الملكية أو السلطة أو المال أو الإستمرار عبر التناسل.

حسام: معنى ذلك هو السعي الى الفناء، والفناء عدم ولقد أنبأنا سليمان في حوارات سابقة أن الإنسان ابن الوجود وأن الوجود خير والعدم شرّ فالوصول الى العدم معناه الغرق في بحر الظلمات والشرور. فهل هذا السعي هو سعي أناس عقلاء! بربك يا صديقتنا شمس قولي لنا ما هو الأفضل، أن نراك أمامنا متوردة الخدين ناهدة الثديين مرتعشة الشفتين وفي عينيك صراخ الرغبة أو أن نراك حفنة تراب ترتع فيها الديدان وتفقس منها الخنافس والجنادب والعقارب؟

الياس: لا يوجد في الوجود عدم بل يوجد محبة وكراهية وذرات تسبح في بحر لا متناه من الفراغ. إذا انجذبت الذرات الى بعضها بدافع المحبة تتشكل المجرات والكواكب والإستقصات وبعدها النبات والحيوان والإنسان. وإذا تتافرت الذرات مع بعضها بدافع الكراهية تفتت ما كان قد تركب وتلاشى ما كان قد تشكل ويعود الكون من جديد ذرات تسبح في بحر لا متناه من الفراغ مع الإشارة أن الفراغ ليس عدماً بل هو مظهر من مظاهر الوجود

حسام: إذن التجاذب حقّ وخير وجمال به تولد الحياة وتحل البركات. ألم أكن أقول لكم ذلك... لولا إنجذابي الى ثدي ينهد وشفة ترتعش وردف يترجرج كيف كان من

الممكن أن تولد القصائد التي تقدم بخوراً يحرق على مذبح آلهة الحب والجمال من جهة وبلسم عزاء للنفوس المعذبة من جهة أخرى... إعتبروا يا أولي الأبواب

سليمان: دعوني أجيب على تساؤل صونيا... وهل سنبقى هكذا عيوننا تحرق في الشمس وأرجلنا تغوص في الوحول

أنا شخصياً فكرت كثيراً في هذه المسألة وتوصلت أخيراً الى قناعة أن لا خلاص للإنسان من هذه التراجم إلا بالصدق قولاً وعملاً. واقتنعت ثانياً أن الأرض الصلبة التي يقف عليها الصدق هي التصديق. التصديق أولاً بأن الإنسان هو غاية هذا الوجود ومحجته البيضاء، وأن كل موجودات هذا الوجود ابتداءً بالذرات وإنهاءً بالمجرات هي في خدمته من أجل تحقيق كمال إنسانيته. ثم التصديق بأن هذا الوجود هو وجودٌ غائي لا وجود عبثي، فالله نظمه بناءً على قوانين ونواميس منغزة في طبيعة الموجودات فلا شيء وليد الصدفة ولا شيء يخبط خبط عشواء، حتى ما نظنه خوارق ومعجزات وعجائب ليس إلا ظواهر تخضع لقوانين عقلانية دقيقة لا زلنا نجهلها حتى الآن

شمس: تريد أن تلغي العجائب التي ظهرت على أيدي الأنبياء والأولياء وكبار المتصوفين وتريدنا أن نوافقك على هذا الرأي هذا لعمرى هو الإستبداد بعينه

حسام: وتريد أن تلغي ما يخلقه التجاذب من عجائب وغرائب وما تسببه ولادة نهد واستدارة ردف من خوارق ومعجزات ونجاريك فيما تقول وتقرر

صونيا: دعوا سليمان يكمل أفكاره وإن كانت فكاهاتكم مستمحة لرشاقتها وخفة ظلها

سليمان: إذا انطلق الإنسان من تصديق مقولة أن الخالق أبدع مخلوقاته بناءً على قوانين تنظمها وتبرمج تحركاتها ومساراتها، كان لا بد للإنسان أن يصدق أن الطبيعة خيرة بالكلية والشر الذي يمارس ذاته في المجتمع وفي علاقة الناس ببعضهم وعلاقة الإنسان بالطبيعة وبالله، إنما هو من صنع الإنسان لأنه بعناده واستكباره وفلسفته النفعية مصرٌّ أن يتجاهل قوانين الطبيعة وقوانين العقل ويتبع

شهواته وجشعه وظلاميته، فيمارس العدوان على نفسه بتدمير بذور الخير والحق والجمال والعدالة فيها، ويمارس العدوان على مجتمعه والإنسانية قاطبة بالظلم والإستكبار والأثرة وإغتصاب حقوق الآخرين. وأخيراً يمارس العدوان على الطبيعة فيحاول العبث بقوانينها بتهجين ما لا يجب أن يتهجن وتدمير ما لا يجب أن يتدمر.

أيدينا: هذا كلامٌ مقنع فبداية الصدق برأيي هي في تعامل الإنسان مع جسده على الصراط المستقيم أولاً بحرصه على نظافة جسده ظاهراً وباطناً وهذه ليست بالعملية السهلة كما يتصور الكثيرون. فنظافة الجسد بظاهره هي في إبعاد الأوساخ عنه بالغسيل والإستحمام ونظافة باطنه هي في إبعاد الجراثيم والمكروبات والفايروسات عنه وهذا لا يتم إلا بالإستقامة في المسلك الجنسي وبالمعرفة العلمية. أنا كطبيبة أمراض جنسية أقول لكم وبتقة أن أكثر من نصف نساء العالم الثالث مريضات بالإلتهابات الجنسية وأكثرهن جاهلات لا يعرفن كيف يحافظن على نظافة أبدانهن ولا على صيانتها من الجراثيم والفايروسات التي تقود الى الشيوخوخة المبكرة والموت المبكر والعذاب والألم بين هاتين المرحلتين. ولهذا يكون التشدد الديني الطقوسي في هذه البلدان هو البديل عن المعرفة بأصول التعامل مع الجسد بطرق علمية صحيحة.

شمس: أفهم أن الصادق مع نفسه هو الذي يصون جسده من التلوث مراعيًا قوانين الطبيعة في التعامل مع جسده لأن الجسد هو نتاجٌ طبيعي. وأستطرد أن الصادق مع عقله هو الذي يصون عقله من التلوث أيضاً بالأكاذيب والخزعات والفكر الخرافي والغيبى والعبثى فيفهم أن للعقل قوانين يجب أن يحترمها وغذاءً صحياً يجب أن يتغذى به من علوم تحترم القانون السببي الى معارف تعتمد الملاحظة والتجربة والإستقراء والإستدلال وتخرج بحقائق لا بظنون وبوقائع لا بأوهام.

حسام: الصادق مع نفسه يجب أن يكون ظاهره كباطنه تماماً لا أن تكون أقواله أحلى من العسل وأفعاله ونيته أمرٌ من الصبر.



صونياً: كيف يكون الإنسان صادقاً مع نفسه إذا كان في وعيه يسلك مسلك الفضائل الدينية والمدنية وفي لا وعيه يحلم بإغتصاب أجساد الآخرين وأموالهم وأرزاقهم وحتى أرواحهم.

الياس: لا أستطيع أن أتصور إنساناً يعيش تحت كابوس التخويف والترهيب أن يكون إنساناً صادقاً ظاهره كباطنه. الإنسان الخائف بطبيعته كاذب ومتملق ومداهن وجبان وبخيل. الخوف يلغي في الإنسان مروءته وفتوته وعفته، يلغي في الإنسان جوهره الإنساني، يلغي عقله المنطقي وعقله النقدي بل يلغي قدرته على التفكير جملة وتفصيلاً.

سليمان: السبب الأساسي لتفشي الخوف بين الناس وتحكمه بمسلكياتهم هو السلطة الظالمة القمعية التي تحاول أن تمسك الناس بالترهيب والترغيب لا أن تمسكهم بعقولهم. هنا تختل العلاقة بين أصحاب السلطة والناس فتزول المصارحة والمكاشفة بالحقيقة وتستبدل بالتزلق والتملق والتكاذب. عندها يزداد الحاكم ابتعاداً عن معرفة حقائق ما يجري على الأرض وتختلط الأمور في رأسه حتى لا يعود بدوره قادراً على التمييز بين ما هو محق وما هو باطل لأن الذين حوله يخافون غضبه وبطشه فيصرون له الأمور كما يريدونها وليس كما هي على أرض الواقع. فإذا ما اشتكت الجماهير من شيء يظنّ الحاكم أنّ وراء تلك الشكوى حسداً أو حقداً أو مؤامرة خارجية أو محاولة إنقلاب فيزداد بطشاً وإرهاباً للناس وعندها يزداد الناس كذباً ونفاقاً وتملقاً وحقداً حتى يصبح الأمر دوامة ليس لها قرار فتفسد عندها أخلاق الناس وتتحصر الفضيلة في سلوكيات شكلية لها خلفيات دينية نادراً ما تطل جوهر الأديان أو الغاية التي وجدت من أجلها.

حسام: كيف يكون الإنسان صادقاً إذا ما سمح للآخرين أن يصادروا عقله ويمنعوه من التفكير والتأمل والحوار والجدل والنقاش والتعبير، ويصادروا حريته فيمنعوه من أن يختار أقواله وأفعاله وممثليه إختياراً حراً دون إكراه أو إجبار.

أنا لا أفهم كيف ينحصر معنى الصدق في هذا الشرق العجائبي ببعض شكليات لا تمس جوهر الحياة بينما يتفشى الكذب في علاقات الناس مع بعضهم وعلاقة الجميع مع حكاهم والأهم من كل ذلك علاقة الرجل بالمرأة في قلب الأسرة الواحدة

ايائنا: خطابات حكاهنا مواعظ وكلام أساتذتنا مواعظ وتعاليم أدياننا مواعظ ومخاطبة الرجل لزوجته وأولاده مواعظ. نحن لا نتقن إلا فنّ الوعظ وذلك لسبب بسيط هو أننا جميعنا يكذب ، نخاف من بواطننا فنحاول إخفاء ما هو في الداخل بهذا الوعظ الذي لا يثمر إلا مزيداً من الإغراء بالردائل والتحريض على مزيد من الإزدواجية في الشخصية

صونيا: إبتدات بداية محقة ولكنك ذهبت بعيداً حنانيك حنانيك؟

حسام: لا أظنها قد ذهبت بعيداً فهل كلام الرجل لزوجته وبناته إلا وعظاً، يصور الرجل نفسه أنه ذلك المتدين العفيف الزاهد في ملذات الحياة الدنيا والطالب لسعادة الآخرة ونراه خارج بيته يتباهى أمام أصدقائه بطول باعه في حقل التماجن قولاً وفعلاً فهو سيد الطرفة الداعرة وسيد الهرج والمرج والإباحة والمنكرات. وهو يفسر ذلك فتوة ورجولة وفحولة. والبنات والزوجة يكلن بنفس المكيال فالكل يكذب : على الكل لأن الكل يخاف الكل والكل لا يثق بالكل وهذا ما جعلني مرة أقول

إنني دريت وليتيني كنت الغبي فلست أدري  
سليمان: لا أستطيع أن أتصور الصدق إلا تناغماً مع قوانين الطبيعة وإنسجاماً مع قوانين العقل وتفاعلاً إيجابياً مع الآخرين يساهم في بناء مجتمع متوازن يتجلبب بجلباب العدالة تحت مظلة المحبة والثقة التي تبث في كل الإتجاهات ذبذبات الفرح والسعادة والسلام والتطور والإرتقاء

صونيا: مهلاً مهلاً يا صديقنا سليمان لقد تدفقت كمياه عظيمة كانت محصورة في سدّ هائل ثم انفجر ذلك السدّ ففاضت مياهه في كل الإتجاهات. لقد قلت أولاً أن الصدق هو في التناغم مع قوانين الطبيعة، هنا سأسأل سؤالاً بسيطاً كيف نتناغم مع قوانين الطبيعة إذا كنا لا نعرف إلا النزر اليسير من تلك القوانين؟

الياس: وهل وجدت علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها إلا لاكتشاف قوانين الطبيعة ثم محاولة التناغم معها. وإذا ما كانت الرأسمالية الحديثة قد سخرت ما توصلت إليه تلك العلوم لمزيد من الربح المادي فهذا لا يعني أننا يجب أن نتشكك بالنتائج التي توصلت إليها تلك العلوم بل بمجالات استثمار تلك النتائج

صونيا: قوانين الطبيعة حقّ وصدق لا يحتمل أي باطل وكذب وإكتشاف تلك القوانين بالعلوم التجريبية حقّ أيضاً لا يحتمل أي باطل أما طريقة إستعمالنا لتلك القوانين وإخراجها عن مسارها الصحيح فهذه مسألة إنسانية أخلاقية وليست مسألة علمية.

شمس: قوانين الطبيعة خير محض لا يحتمل أي شرّ أو باطل، تلك الآفات هي في نفوسنا فقط وليست في الطبيعة.

ايلينا: أظننا قلنا في قوانين الطبيعة ما يكفي فماذا عن قوانين العقل والتناغم معها؟

سليمان: هناك حقائق بديهية منغزة في جوهر العقل منذ بدء التكوين بها تبرهن الأشياء وهي ليست بحاجة الى براهين كمقولة الكل أكبر من الجزء وأن الشيء لا يمكن أن يمارس وجوده بالفعل إلا بوجود ضده معه، وأن الأعداد ليست إلا الواحد يكرر نفسه والكل عائداً اليه، وأن كل شيء في صيرورته خاضع لقانون سببي يربط النتيجة بأسبابها فلا شيء يولد من لا شيء أو بالمصادفة.

صونيا: هلا أعطيتنا أمثلة حسية عن بديياتك ومنطقك العقلي؟

سليمان: سأحاول أن أعود الى أول مقولة في تاريخ البشرية وأحلها تحليلاً عقلانياً .لأظهر ما فيها من تناقضات

قيل أن آدم أب البشر جميعاً خلق من تراب ولذلك فكل ذريته هي من التراب والى التراب تعود. فإذا كان آدم أشرف المخلوقات جميعاً لكان الأحرى أن يخلق من أشرف الموجودات كالماس والياقوت والزمرد لا من تراب لا قيمة له فهذا مناقض لمنطق العقل. وقيل أن خلق آدم من أدم الأرض أي من وجهها بدون أب أو أم هو للزيادة في شرفه ورفعته فمنطق العقل يقول أن كل المخلوقات الحية من أب وأم إلا

الديدان والخنافس والعقارب توجد من أدم الأرض بدون أب أو أم. ولو كان الأمر زيادة في الشرف لكان الأجدر بكل الأنبياء والرسل أن يخلقوا من أدم الأرض بدون أب أو أم. وفي المعجم أيضاً أن أدم الأرض مغبر اللون مائل الى السواد فهل يصح أن يخلق سيد الكائنات أغبر الوجه مائلاً الى السواد وهذا ما لا يرضاه سيد لابنه أو لابنته. ألم يمدح حسان بن ثابت الغساسنة بقوله لهم

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمر الأنوف من الطراز الأول  
من كل ذلك نرى أن الأسطورة لم تحترم منطق العقل عندما تركبت وكان الأجدر بها ألا تخالف منطق العقل وقوانينه ولكنها في النهاية ليست إلا أسطورة وإن كان الكثير من الناس يعتبرها حقيقة. أوجز ذلك بالقول أن الحقيقة الصادقة هي ما ثبت في ميزان قوانين العقل أنها حقيقة صادقة لا أكثر ولا أقل

صونيا: ما زلت أعتقد رغم إقتناعي بكلامك أنه يبقى هناك هامش صغير خارج حدود منطق العقل يبني فيه المتصوفون والزهاد والنساک قصور حقائقهم الخاصة بهم وهي قصور جميلة فيها الكثير من العزاء لأصحاب النفوس المعذبة والخواطر المكسورة وللذين عاشوا تجارب المرض والفشل واليأس والبكاء وصريف الأسنان.

شمس: أنا أعتقد أن العقل له حدوده المنطقية ولذلك هو لا يستطيع الإحاطة إلا بكل ما هو محدود. ولما كانت الكليات المجردة وعلى رأسها الله أشياء غير محدودة كان العقل عاجزاً عن الإحاطة بها وإدراكها إدراكاً كاملاً وكانت هذه الأشياء غير خاضعة لقوانين العقل ومنطقه وهنا تعيش الحقائق الصوفية التي لا يجوز الإستهانة بها والتي تعتمد عنصر الحدس والذوق لا عنصر العقل

حسام: وما بالكم بالجماهير التي عقلها في أدنيها والتي تفتقر الى أي ثقافة عقلانية منطقية، هذه الجماهير تعيش برغباتها وأمانيتها وشهواتها وقوة الحياة فيها. وهي بحاجة ماسة الى إختراع الأساطير والأكاذيب والخزعبلات لكي تبرر من خلالها تصرفاتها ولكي نتعلق بها لأنه لا بدّ للإنسان من غاية يتعلق بها حتى ولو كانت غاية كاذبة وأسطورية

صونيا: هنا لا بدّ من إعلان ثورات ثقافية لها رؤية تربوية وبرامج بعيدة المدى لتدريب الناس منذ نعومة أظافرهم على التفكير المنطقي النقدي المنهجي والشجاعة في مواجهة الحقائق مهما كانت المواجهة صعبة، والشجاعة في قول الصدق وممارسته وعدم الهروب الى الفكر الغيبي والأسطوري من أجل تبرير الضعف أو من أجل إعفاء النفس من التضحيات الجسام

ايلىنا: هذا كلام دقيق فأنا في حقل إختصاصي أقول أنه يجب أن نواجه حقيقة أن مجتمعاتنا الشرقية شبه موبوءة بالأمراض والممارسات الشاذة فهل نحلّ هذه المشاكل بالوعظ والشكليات الدينية والتكاذب وسياسة التبرير أم نواجه الحقيقة بالمعرفة العلمية والمنهج السلوكية العلمانية. وهل تبقى المعرفة العلمية في هذا الشأن مجرد كلام في الكتب أم نجعل منها ممارسة على أرض الواقع، هذا هو السؤال الذي يحتاج الى جواب

حسام: وفي حقل مصادرة العقول والحريات من قبل أنظمة ومرجعيات إستبدادية، هل نحل المشكلة بأفكار غيبية مثل إنتظار مخلص يأتي من عالم آخر ليزرع الدنيا عدلاً وسلاماً وتطوراً ويزيل منها الإستبداد والعدوانية والتخلف، أم نتكل على أنفسنا وذلك في بناء مؤسسات ومجتمعات مدنية ومساواة بين الرجل والمرأة وإعطاء حقّ العلم والعمل والتطور لكل مواطن وبناء مؤسسات تحكم وليس أفراداً، مؤسسات تحترم منطق العقل وقوانينه ولا تأخذ بأسلوب الدعاية والشعارات وتنشر الخوف والترهيب حتى لا نعود نجد إنساناً واحداً ظاهره كباطنه وقوله كفعله

الياس: أنا لا أفهم كيف يكون الإنسان صادقاً إذا لم يكن عادلاً في تعامله مع نفسه وعادلاً في تعامله مع الآخرين ويعيش في مجتمع متوازن في شتى الميادين

ايلىنا: هذا الكلام أشبه بالألغاز فعليك أن توضح وتعطي أمثلة

الياس: الإنسان الذي يأخذ أكثر مما يعطي هل هو صادق، والإنسان الذي يأخذ أكثر من حاجته هل هو صادق؟

في النظام الرأسمالي حيث تتكدس الثروات في أياد قليلة وتكدح الجماهير للحصول على رغيف الخبز، وفي الأنظمة الإشتراكية التي سرعان ما تنقلب الى ديكتاتوريات وتعود الثروات تحت مظلة القمع والترهيب والتخويف لتتكدس بأيدي قلة من الناس وتعود الدائرة من جديد الى نقطة البيكار... أين هو الصدق؟

وهل ننسى أن هناك أناساً دهاة يعطون القليل ويحصلون على الكثير، وهناك أناس أغبياء مساكين يعطون الكثير ويحصلون على القليل. أنا شخصياً لا أرى الصدق إلا في المجتمعات العادلة التي توزع ثرواتها على شرائحها وطبقاتها بتوازن تصوغه معادلات عقلانية تجعل الجميع مؤمنين بأحقية ذلك التوازن، وتجعل الجميع مقتنعين أن كل واحد منهم في مكانه المناسب لإمكاناته، وأن شرفه وقيمه أن يؤدي عمله في موقعه الذي هو فيه بصدق وأمانة فيصبح الكل متساوين في الشرف والكرامة من أعلى رأس الهرم حتى أسفل قاعدته لا فاضل ولا مفضل تماماً كما الدائرة كل نقطة على محيطها تبعد نفس المسافة عن مركزها

حسام: هذا كلامٌ مثالي فعلى أرض الواقع سيبقى الصراع مستمراً بين الصدق والكذب والخير والشرّ والعدالة والظلم. ونحن إذا أردنا أن ننتصر للصدق والخير والعدالة علينا أن ننتصر للحرية أولاً. لأن الكذب والظلم والشرّ لا يستطيعون أن يسرحوا ويمرحوا إلا في المجتمعات التي صودرت عقول أبنائها وحرّياتهم تحت ألف ذريعة وذريعة ظاهرها نظيف وباطنها سخيّف

شمس: أنا شخصياً لا أستطيع أن أتصور الإنسان صادقاً فاضلاً عادلاً وهو يعتبر أن هذا العمر الزمني الذي يعيشه هو فرصته الأولى والأخيرة في الحياة. كيف لا يكون الإنسان إنتهازياً ومستغلاً ومناققاً ومراوغاً إذا ما اعتبر ان الفرصة التي تسنح له لن تتكرر أبداً سواء في حقل المال أو النساء أو الأعمال. الصدق يحتاج الى الوقوف على أرض صلبة وهي أن النفس الإنسانية العاقلة نفسٌ خالدة تنتقل بالموت من جسد الى آخر ومن مجتمع الى آخر وأن موقعها في انتقالها الجديد لن يكون إلا ردة فعل لأفعالها في الحيوانات السابقة

صونياً: معنى ذلك أن الإنسان هو الذي يصنع قدره بيديه، فأعماله السابقة هي التي حددت وجوده حيث هو موجود، لعمرى هذه فكرة طريفة تستحق الكثير من التأمل والتفكير.

سليمان: وما معنى الحرية إذا كان هناك قدر يفرض على الإنسان من فوق؟ وما معنى هذا الفوق إذا لم يكن عادلاً يعطي كل إنسان ما يستحق بما جنته يده، وهنا لا بدّ أن نقول أن مفهوم الصدق يبقى غامضاً إذا لم يقترن بالمسؤولية. ليس مسؤولية الإنسان تجاه أبناء مجتمعه وتجاه المؤسسات القضائية والأمنية فقط، فهكذا مؤسسات يمكن مخادعتها بألف وسيلة ووسيلة وخصوصاً في دول العالم الثالث. ولكن مسؤولية الإنسان تجاه نفسه، إذ كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يكون كاذباً منافقاً مخادعاً ظالماً؟ ألا يشعر بأنه بذلك يهين نفسه ويستهيئها، كما يهين الإنسان في ذاته. كيف يرضى الإنسان لنفسه وهو يعتبر نفسه قبساً من نور الله وجزءاً لا يتجزأ من العقل الكلي أن يرمي تلك الجوهرة المشرقة في وحول السلبيات الرخيصة والذنيئة والتي تأنف منها كل موجودات هذا الوجود.

ايلينا: معنى ذلك أن الكاذب والظالم لا يحترم نفسه فكيف يطلب إذن من الآخرين أن يحترمونه؟ الآن فهمت ما قصدته بأن لغتنا مواعظ ولا شيء إلا مواعظ. فالواعظ لا يحترم نفسه لأنه يقول ما لا يفعل، وهو في قرارة نفسه يعرف أن من يعظهم لا يحترمهم. فالكل يكذب على الكل هكذا تصبح اللغة مجرد ظاهرة صوتية. وهذا ما أصاب لغتنا العربية في الخمسين سنة الأخيرة. لا أحد يقرأ ليس لأنه لا أحد يحب القراءة بل لأن الجميع مقتنعون بأن ما يكتب هو مجرد منافقة وتكاذب. والصادق يصمت لأن الجماهير التي عقلها في أذنيها ما يهمها هو الإيقاع الصوتي والتفهيق بالكلام. وينتهي كلام المناسبة بإنتهائها كمن يأكل حلواً ويشرب ماءً فكأنه لا أكل ولا شرب.

حسام: ليس الصدق هو أن يكشف الإنسان عما يختلج في باطنه فقط كما تروج لذلك بعض الفئات العبثية فيقولون أن الشذاذ جنسياً يجب أن يقفوا أمام كل الناس ويصرخون بأعلى أصواتهم نحن هكذا وهذا واقعنا ونحن صادقون مع أنفسنا ولا

تهمنا آراءكم في قليل أو كثير. أو أن يقف مدمن المخدرات ويعلن للملأ أنه مدمن ويتباهى بأنه أفضل من الآخرين الذين يسترون نقائصهم فهو على الأقل صادق

الصدق في حقيقته هو التناغم مع قوانين الطبيعة وقوانين العقل قولاً وعملاً. أنا شخصياً كشاعر عندما أكتشف جمال نهد يولد وردف يستدير وعينين يكحلهما الحور فلكي أقول للناس بين الكلمات، هذا الجمال يجب أن تستلهموا منه الأفكار الإبداعية والأحاسيس الحية التي تخفف من عناء الحياة ومشقاتها، لا أن تستهلكوه بشراهة ووحشية أو تحتكروه وتخبئوه في السرايب والكواليس بحجة أنكم تحافظون عليه أو بحجة الحلال والحرام

سليمان: للصدق شؤون وشجون كثيرة فإن نكون صادقين يعني أن نلتزم بالفطرة التي فطرنا عليها منذ بدء التكوين. فالإنسان بفطرته كائنٌ عاقلٌ إجتماعي ولذا أشار حسام كيف أن الصدق هو الإلتزام بقوانين العقل. وأنا أشير الى أن الإلتزام بفطرة أننا كائنات إجتماعية هو أن نكون أعضاء إيجابيين في مجتمعاتنا نبت في كل الإتجاهات نذببات المحبة والثقة والإحترام. هو أن يشعر كل من يتقاطع وجوده مع وجودنا أننا أليفين له وكأننا أصدقاء منذ عشرات السنوات، الشعور بالإلفة، الشعور بالإرتياح، الشعور بأن الآخرين يحرصون على كرامتي وراحتي، وسعادتي جزءٌ من سعادتهم ونجاحي أو فشلي جزءٌ من نجاحهم أو فشلهم. هذا هو المجتمع الصادق حيث أن كل إنسان راض بموقعه مرتاح الى عمله لأنه على ثقة أنه موجود حيث يجب أن يوجد، وبالتالي لا يوجد رأس وذنوب ولا سيد وعبد فالمجتمع مجتمع دائري بل مجتمع كروي كما هي أمنا الأرض كروية

صونيا: ألهذا تعتبر الدائرة أكمل الأشكال الهندسية؟

سليمان: وهل نسيت أن الإنسان نظام دائري فطوله وعرضه متساويان إذا فتح ذراعيه، وهو الكائن الحي الوحيد الدائري المنتصب القامة كالخط المستقيم أو كحرف الألف في الأبجدية ولهذا هو أكمل المخلوقات ليس فقط بعقله بل بتكوينه البيولوجي أيضاً



شمس: كيف يكون الإنسان صادقاً ولا يكون في حالة عشق دائم لربه؟ كيف لا يحدوه الشوق للإنجذاب الى ربه والتلذذ بذلك الإنجذاب؟

طالما ناجيت ربي لحظة شروق الشمس ولحظة غروبها، وطلبت منه أن يسمح لي بالسفر اليه بقدم الروح لأنني لا أستطيع الوصول بقدم الجسد، طالما طلبت منه أن يطوي الأرض تحت أقدامي أو أن يعطيني أجنحة صقر أطير بها وأحلق في المدى اللامنظور. ثم أرتد الى منطق عقلي فأعلم أن الله في ضميري ولا يحجبني عنه إلا أعمالي وأفكاري التافهة والعبثية فأرثي لحالي ولحال جميع البشر كيف نتلهي بالفشور والجوهر أقرب إلينا من حبل الوتين

الياس: في المجتمع الصادق يعود الإنسان الى فطرته الأولى فهو ابن الله وليس ابن الخطيئة. ولأنه ابن الله فهو ابن الخلق والإبداع وليس ابن التقليد والإجترار والإتباع. إذا فكر فتفكيره نوراني، وإذا تكلم فكلامه إيقاع ألحان كونية، وإذا عمل فعمله ممزوج بذاته وبكل ذرة من كيانه. إذا كان خبازاً ومدّ أرغفته للناس قال لهم هذا جسدي فكلوه كان صادقاً، وإذا كان كراماً ومدّ كأسه للناس وقال هذا دمي فاشربوه كان صادقاً، وإذا كان شاعراً ومدّ قصائده للناس وقال هذه نبضات عقلي وقلبي وأحاسيسي فارقصوا على إيقاع أوزانها كان صادقاً. وإذا كان فتاةً حسناء وكشفت عن مفاتها للناس وقالت هذا هو إنعكاس الجمال الكلي على كياني الجزئي فاستلهموه واستوحوا أجمل الأحاسيس وأعذبها كانت صادقة

سليمان: إنه الصدق الذي قال فيه أحد المتصوفين منزلة الصدق من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد. ومخطئ كل من يقول منزلة الفرائض من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد. وأنا أقول منزلة الصدق من الطمأنينة والسعادة والتوازن النفسي والجسدي كمنزلة الرأس من الجسد

الجميع: منزلة الصدق من الطمأنينة والسعادة والعدالة والتوازن كمنزلة الرأس من الجسد.

كمال يوسف سري الدين

